مناجاة الارواح

او السپيريتسم

نكتب هذا الفصل اجابةً لاقتراح بعض مشتركينا الالبّآء نورد فيهِ زبدة اقوال الباحثين من غير ان نتصدَّى لتأييد شيءٍ منها او نقضهِ لان الامر لايزال الى الآن من ورآء المدارك العلمية والعقلية ولذلك افترقت فيهِ مذاهب اهل العلم فمنهم من انكرهُ بتةً لخفآء وجههِ وبعدهِ عن سَنَن الاحوال الطبيعية ومنهم من اعتقدهُ اعتقاد الحقائق المسلَّمة ذهاباً الى أن في الطبيعة اسراراً لا يَسَع الوجدان انكارها وان لم تقع في حيز المعقول

ومناجاة الارواح من الامور القديمة العهد بل لعلها من اقدم ما ذُكر في تاريخ الانسان وهي شائعة عند جميع امم الارض حتى عند القبائل الهمجية . وكان المتعارَف الى اواسط القرن التاسع عشر انها تتم اما باستحضار الارواح على ما يفعلهُ اصحاب هذا الشأن واما بحضورها في الحلم ثم انها من ذلك التاريخ انتقلت الى طورٍ آخر اذ اخذ الباحثون في استقرآء ما يحدث فيها من المعاينات والمسموعات والنظر فيما بينها من المناسبات حتى جعلوها علماً قائماً بنفسهِ وصار لهـا رجالٌ مخصوصون يبحثون في اسرارها وينقطعون للاشتغال بها

والظاهر ان هذا الطور الجديد اول ما ظهر في اميركا وكان ظهورهُ على اثر ما شاع من امر الموائد المتحركة وذلك نحو سنة ١٨٤٣ . وكيفية امر هذه الموائد ان يعمد جماعةٌ الى مائدة مستديرة ذات ثلاث قوائم فيقفون او يجلسون من حولها ويضعون اكفّهم على اطرافها وبعد ان يأتي على ذلك

نحو عشر دقائق الى نصف ساعة يُسمَع من المائدة صوت طرقٍ خفيف ثم تأخذ في حركةٍ نَوَدانية فتميل على احد جوانبها ثم تعود وبعد حين تدور على نفسها وقد يكون دورانها في غاية السرعة . وهم يقولون انها تتحرك كذلك من تلقآء نفسها لا بتحريك ايديهم لها ويزعمون أن هذه الحركة فيها تتمّ بمثل السيّال الذي يحدث عنهُ النوم المغناطيسي

وقد انتشر امر هذه الموائد في المانيا سنة ١٨٤٦ وفي فرنسا سنة ١٨٥٣ الا ان الاميركان لم يكتفوا بكونها تتحرك فحاولوا ان يجعلوا تلك الحركة ذات معنى وبعبارةٍ اخرى ان يجعلوها تتكلم . وذلك انها بعد استوآء الجلوس حولها ووضع ايديهم عليها تميل على اثنتين من قوائمها الثلاث وترفع الثالثة ثم تحطها وتعود فترفعها وهكذا على التعاقب واذ ذاك يعدّد واحدٌ من الحضور حروف الهجآء فتميل المائدة عند ذكر كل حرف حتى اذا بلغ الى احد الحروف تميل ميلةً اعظم وتردّ رجلها بعنف ثم تقف فيقيَّد ذلك الحرف ثم يعاد العمل الى ان يبلغ الى حرفٍ آخر فتفعل كذلك الى ان يتم هجآء الكلمة او الكلمات التي تريد ان تقولها . قالوا ولا بد لحدوث ذلك من وجود شخص بين الواضعين ايديهم على المائدة قد امتاز بقوةٍ خاصة تميل المائدة الى جهتهِ ويزعمون انها انما تتحرك بروح ينبثّ فيها بتوسُّط الشخص المذكور ولذلك يسمَّى عندهم بالوسيط وأن هذا الروح هو الذي يجاوب . وهو يكون على الغالب روح متوفًّى من اقارب احد الحضور وقد يكون روح احد الاحيآء من الغائبين عن الحضرة او روح رجلٍ شهير وربما استخدموا روحاً مجازيًّا كروح الحكمة ونفس الارض وغير ذلك

وهناك امرٌ اغرب مما ذكر وهو أن المائدة على ما زعموا ترتفع احياناً تحت يدي الوسيط حتى لا يبقى اتصالٌ بينها وبين الارض . وهذا الارتفاع لا يتم غالباً الا بعد ان تنود اي تميل وترجع مراراً كثيرة لكنهُ احياناً يتمّ ابتداءً بحيث انهُ لو كان على المائدة شيءٌ لم يتغير عن وضعهِ . وبعد ارتفاعها تبقى عدة ثوانٍ في الهوآء واذا تُحومِل عليها والحالة هذه تنزل قليلاً ولكنها تعود الى ارتفاعها حالما يُرفَع الضغط عنها حتى كأنها قائمة على نابض (زنبلك) . ويروون من هذا القبيل اموراً منها ان بعض الاجسام تتحرك او تنتقل من مواضعها دون ان تمسّها يد الوسيط وذلك كأن تنتقل اشياء من المكان المجتمَع فيهِ الى خارجهِ او كأن تنتقل بعض قِطَع الاثاث عن مواضعها او يُسمَع صوت آلةٍ موسيقية في المكان دون ان يمسّها احد واشباه ذلك . بل الوسيط نفسهُ على ما يزعمون يرتفع احياناً في الهوآء الى مسافةٍ ما . قالوا وامثال هذه الامور لا تتمّ الا في الظلام

ومن ذلك ان بعض الموادّ تخترق الحُجُب وذلك كأن يكون شيء في صندوق فيخرج منهُ والصندوق مُقفَل ومختوم وكأن تكون حلقاتٌ متداخلة فينفكّ بعضها من بعض من غير ان يكون فيها انفصام او كتابٌ في خزانة فيخرج منها الى غير ذلك وهذه ايضاً لا تحدث الا في الظلام

ومما ذكروا ان اشياء رُؤيت طائرةً في الهوآء وهي تتألق نوراً وذلك من نحو ايدٍ او رؤوس او من نحو صورة وجهٍ او طيف وهذا الاخير نادر الحدوث . قالوا وربما ظهر شخص كامل يذهب ويجيء ويتكلم ويمكن لمسهُ وهذه الطيوف تظهر احياناً في الظلمة ولكنها قد تظهر في النور واكثر

ما يكون ظهورها حيث لا يُتوقع فتظهر في حجرة او في الطريق او في الصحرآء والذي يظهر كذلك يكون واحداً من الاموات يتجلى لأحد انسبآئهِ او خلاّنهِ وذلك في حين مفارقتهِ للحياة

ومن ذلك انهم يضعون على مائدة لا تصل اليها يد احد او في ضمن علبة مُقفَلة قطعة ورق وقلم رصاص و بعد حين يُفتقَد الورق فيوجد مكتوباً . وقد يجلس الوسيط على كرسيٍّ فلا يلبث ان تستحيل هيئتهُ و يتبدل صوتهُ ولهجتهُ وعلى الجملة يفقد مميزاتهِ الشخصية ثم يتكلم فيكون كأن شخصاً آخر يتكلم فيهِ و بعبارةٍ اخرى كأن روحاً قد استولى على اعضآئهِ واستخدمها . فيجيب عن الاسئلة التي تُلقَى عليهِ ويخبر بامورٍ هو يجهلها اصلاً ولكنها تكون من معلومات الروح الذي حلّ مكان روحهِ وقد يكون ذلك الروح طبيباً فيشير على المرضى بما ينفعهم ويذكرون أُناساً قد شُفُوا بهذه الطريقة

واخيراً فانهُ يقال انهم يصوّرون الارواح فاذا جآءهم من يطلب صورة احد المتوفَّين من اهلهِ اجلسهُ المصوّر تجاه الآلة الفوتغرافية واخذ صورتهُ كالعادة ولكن عند كشف الصورة على الصفيحة الزجاجية يُرَى بجانب صورتهِ رأسٌ قد يكون ذا ملامح واضحة هو رأس الروح . قالوا وكثيرٌ من الناس من عرف اباهُ او امهُ او ولدهُ لكن من الناس من لم يثبت لهُ شيءٌ من ذلك

على ان هذا الامر لم يلبث ان ظهر انهُ كان ضرباً من الاحتيال وذلك ان رجلاً من اهل باريز يقال لهُ بوجّاي اعلن نحو سنة ١٨٧٥ انهُ يصوّر

الارواح وعيّن ثمن الصورة ٢٠ فرنكاً فجعل الناس يتواردون عليهِ وكان يفعل كما ذُكر . غير ان الصور كانت تصدق حيناً وتخلف آخر على ما تقدّم فكان ذلك مما نبه العيون اليهِ وآخر الامر تبين انهُ كان عندهُ اشباح يستخدمها لاخذ صور الارواح وهي تماثيل صغيرة من الجِصّ لا رؤوس لها ورؤوسٌ من الورق قد قطعها من صور فوتغرافية قديمة . فكان كما حكى عن نفسهِ اذا جآءهُ الطالب ارسلهُ الى صاحبة الصندوق ليُؤدي اليها ثمن الصورة فتسألهُ عن غرضهِ وتستدرجهُ لمعرفة شيء من حِلية صاحب الروح الذي يريد تصويرهُ فاذا انهت اليهِ ما علمتهُ من الطالب اخذ احد تلك التماثيل الصغيرة وغطاهُ بنسيج ابيض وجعل فوقهُ رأساً من الرؤوس الفوتغرافية التي عندهُ مما يظن انهُ اقرب شَبَهاً الى الهيئة التي وصفتها لهُ المرأة ثم يعمد الى الطالب فيأخذ صورتهُ على نحو ما تقدّم وقبل أن يكشفها يأخذ صورة التمثال على الزجاجة نفسها فتظهر الصورتان معاً

ولما ظهر امرهُ رُفع الى القضآء فاعترف بصنيعهِ فحُكم عليهِ بالسجن وبعد ان لبث فيهِ مدةً فرّ منهُ وخرج الى بلاد البلجيك وكان اول شيءٍ عملهُ هناك انهُ نشر بياناً ذكر فيهِ قصّتهُ وصرّح بان عملهُ كان احتيالاً ولكن الناس مع جميع ذلك لم تكفّ عنهُ وما برحوا يأتونهُ في طلب تصوير موتاهم فعاد الى ما كان عليهِ . على ان كثيرين غيرهُ يتعاطون الامر نفسهُ ولا يزالون يفعلون ذلك الى هذا اليوم[1]

(١) ذُكر لنا ان واحداً من اكابر عقلآء المصريين كان في صيف هذا العام يسيح في اوربا فافضى بهِ طوافهُ الى احد اولئك المخرقين فاخبر انهُ استحضر لهُ

وقد اشتغل اهل العلم بهذه الامور لشهرتها بين الجمهور وكثرة ما يُروَى منها وجزم المشاهدين بصحتها وكان اشدّ الاهتمام بها في انكلترا واميركا فانهم عقدوا لها عدة اجتماعات في مواعيد مختلفة فلم تسفر مباحثهم عن فائدة لان منهم من حكم بنفي صحتها بتاتاً وحمل كل ما يظهر منها على التمويه والاحتيال ومنهم من حكم بصحة جميع تلك المشاهدات على التقريب. ومن الذين تفرغوا لهذا الفحص في انكلترا الكيماوي الشهير وِليَم كرُوكْس فانهُ بحث في هذه المسائل بحثاً دقيقاً وعانى اختبارها بنفسهِ متدرّجاً من اسهلها حلاًّ الى اشدّها غرابةً واشكالاً فكان يظهر لهُ المشهد بعد المشهد وفي آخر الامر ظهر لهُ روحٌ بمنظر فتاة صغيرة السنّ فحادثها في امورٍ مختلفة ثم تجسمت لهُ الى حدّ انهُ وزن ثقلها وتسمّع الى حركات قلبها ورئتيها

وتألفت بعد ذلك في انكلترا جمعيةٌ مخصوصة لهذا الفحص وقد طُبعت نتيجة فحصها سنة ١٨٨٦ في مجلدين ضخمين نسقت فيهما وصف ما كان يظهر لها من المشاهد فأثبتت صحة اكثرها وعلى الخصوص ظهور الاموات. وممن استقرى هذا البحث المسيو فلاماريون الفلكي المشهور وخصوصاً ما يتعلق بالمسئلة المذكورة اي مسئلة ظهور الاموات فأثبت صحة ذلك بناءً على شهادة عددٍ كبير من الناس ممن سمعوا لفظ الميت أو ابصروا ملامحهُ. ومثل ذلك مسئلة المائدة التي ترتفع عن الارض فانها ثبتت لهُ بشهادة اناسٍ لا ريب في صدقهم قال على ان المسئلة لا تحتمل ان تكون من باب التمويه

روح والدتهِ وانهُ كلما فسمع لفظها بعينهِ ثم صوّرها لهُ فكانت الصورة منطبقة على هيئتها تمام الانطباق كانها صُوّرت وهي حية . . .

لرجوعها الى حكم الحسّ الظاهر ولأن التمويه في مثل هذا لا يكون الاّ في موضعٍ مخصوص مُعدّ لهذه الشعوذة . وكذا يقال عن بقية المشاهدات وان اختلف موضعها من اليقين بالقياس الى كثرة حدوثها وقلّتهِ وبالتالي الى عدد الشهود الذين يحضرونها

قال وقد حاول بعض الذين لم يسعهم الا الاقرار بصحة هذه المشاهد ان يعللوها من الطرق المعقولة ولكنهم لم يستطيعوا ردّها الى شيءٍ من القواعد الطبيعية أو قواعد منافع الاعضآء على وجه مُقنِع . وذلك كالمائدة التي تدور وتزحف حول نفسها وقوائمُها لاصقةٌ بالارض فانها لا بدّ لها ان تتحرك بقوّة شديدة حتى تنتقل هذا الانتقال . وقد امتحنوا هذه القوّة فيها بأن عمدوا الى مائدةٍ خفيفة وضع الوسيط يديهِ عليها وامسكها احد الحضور ليمنعها من الحركة فحدث بينها وبين الذي امسكها مجاذبةٌ عنيفة واخيراً دفعتهُ عنها (كذا) واندفعت في حركتها . فجعلوا مكان الوسيط رجلاً آخر بقصد ان يجعلها تزحف بضغط كفّيهِ فكانت كفاّهُ تتزلجان عليها وهي ثابتةٌ في مكانها . فتبيّن ان هناك قوةً غير قوة العضَل فضلاً عن ان هذه الحركة قد تكون على عكس ما يقتضيهِ الظاهر كما في المائدة التي ترتفع عن الارض والايدي فوقها لا تحتها وكالامور التي تحدث من غير وجود يدٍ تُحدِثها مما يدلّ على ان في بنية الانسان قوةً تفعل في المادّة غير ما تفعلهُ الاعضآء بضغطها الا ان طبيعة هذه القوة لا تزال مجهولةً عندنا

وهناك توجيهاتٌ أُخر لبقية المسائل المذكورة لجأ في اكثرها الى التخرُّص او التمحُّل البعيد فأجتزأنا عن سردها تخفيفاً عن المطالع . وجملة

القول ان الامر لايزال غامضاً حتى على اهل العلم ومن سلّم منهم بصحّتهِ فانما سلّم انقياداً لحكم الحواسّ من غير ان يكون على بيّنةٍ من كيفية حدوثهِ فاكبر العلمآء في ذلك والأُمّيّ متساويان لان كلاً منهما لا يرى الا ظواهر الامر والحقيقة محجوبةٌ عن كليهما والله اعلم

دلالة الاقوال على الصفات والافعال

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرّس آداب العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة

(تابع لما في الجزء السابق)

ومنهم ابن درّاج الطُفيلي يتغنّى مفتخراً بصفة التطفّل طالباً لها طول البقآء ليتمتع بها قائلاً

لذةَ التطفيل دومي واقيمي لا تريمي
انت تشفين غليلي وتسلّين همومي

ومنهم الفضل بن سهل الذي اشتهر ببغضهِ للسعايات اجاب على سعاية ساعٍ بما دلّ على اخلاقهِ وهو قولهُ « نحن نرى ان قبول السعاية شرٌّ من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دلّ على شيءٍ وأخبر بهِ كمن قبلهُ واجازهُ فاتّقوا الساعي فانهُ لوكان في سعايتهِ صادقاً لكان في صدقهِ لئيماً اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة »

ومنهم القائل وقد حُرّض على التقدم الى القتال فتأخر جبناً وهلعاً وقال يعتذر